مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية و الاتصالية ISSN : 2353-0502
المجلد1 ، العدد2، (جوان2013) EISSN : 2600-6863

القاموس العربي (الإعلامي والتكنولوجي) في عصر المعلوماتية: ''أوجه القصور والتطوير''

أ.حفيظة بوخاري

كلية العلوم الاجتماعية-قسم علوم الإعلام والاتصال

جامعة مستغانم

boukhari.hafida@gmail.com

مدخل:

لا تزال الأمة العربية -وعلى الدوام- تتغنى بمآثر حضارتها العريقة، حضارة بالرغم من اندثارها وتعاقب الأزمان عليها، إلا أنها ظلت محطة هامة من محطات الرقي الإنساني في أوج تطوره، وما يقع على عاتق تلك الأمة اليوم، وفي ظل الكوكبة ونتيجة لتنامي أدوار وسائل الإعلام وكذا التكنولوجيات الحديثة، هو مهمة إعلاء الكلمة العربية، عن طريق توظيف لغة الضاد في مضامين صحفها وقنواتها الإذاعية والتلفزيونية، ولما لا أفلامها السينمائية، خشية أن تتعرض لاحتمال الانقراض، فاسحة بذلك المجال إلى تحقيق تعاظم مستفيض للغات الأجنبية الأخرى: الانجليزية والفرنسية خاصة، والتي تتفق الأغلبية الساحقة من الناس على أنها لغات التكنولوجيا ولغات الإعلام، متغاضين أو متناسين عظمة اللغة العربية، والتي هي مستمدة من عظمة الدين الإسلامي والقرآن الكريم.

إشكال الدراسة: جاءت هذه الدراسة للإجابة على الإشكال الآتي:

ما أوجه القصور التي يتضمنها القاموس العربي (الإعلامي والتكنولوجي) في عصر المعلوماتية؟ وكيف يمكن تطويره بما يحقق مواكبة الركب في مجال الإعلام وتكنولوجيات الاتصال وبرمجيات الكمبيوتر؟

وهذا بدوره يطرح عدة تساؤلات:

* ما الإسهامات التي قدمتها اللغة العربية للحضارة الإنسانية؟

* ما هي المكانة التي تأخذها اللغة العربية في عالم اليوم؟

* ما الأسباب المتدخلة في تراجع استخدام اللغة العربية في عصر الإعلام والتكنولوجيا؟

* هل من جهودات عربية مبذولة في المجال؟

* ما هي أوجه قصور القاموس العربي التكنولوجي؟

* فيم تتمثل أهم استراتيجيات تعريب المعلوماتية؟

* ما حال ووضعية اللغة العربية في الجزائر، وما العراقيل التي تواجهها؟

* كيف يمكن تحقيق تكنولوجية اللغة العربية في الجزائر؟

هدف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف:

* إجلاء الغبار عن عظمة اللغة العربية كلغة عالمية.

* التأكيد مجددا على أن ضياع اللغة هو ضياع الهوية.

* التنويه إلى أهمية هذه اللغة، لضمان الخصوصية الثقافية والتواصل مع الثقافات.

* رفع التحدي، في إمكانية تهيئة القاموس العربي بمصطلحات علمية وتكنولوجية جديدة.

* إجبار العالم الغربي على النظر في ترتيب اللغات، عبر إدراج اللغة العربية كوسيلة تواصل أولى وأداة لغوية عالمية، وبالتالي التوصل تدريجيا إلى تكريس ثقافة الضاد: تحقيق الحصانة للهوية العربية ككل.

* والأهم: دفع الأدمغة العربية إلى التفكير في سبل نقل المجتمع: من استراد التكنولوجيا إلى صناعتها وتصديرها باللسان العربي.

ويتم تحقيق هذه الأهداف من خلال القيام بتحليل واقع اللغة العربية في عصر المعلومات، ما يستدعي أيضا استقراء المشاريع العربية التي جرى تطبيقها في الميدان، وتحليل وضعية هذه اللغة في الجزائر من جانب آخر، بغية تهيئتها للتطور والتأكيد على أنها سبيلُ البقاء الوحيد في زمن العولمة الإعلامية وثورة التكنولوجيا الرقمية.

إسقاطات الدراسة: تستند الدراسة إلى أرضية واضحة من الدراسات والمشاريع العربية التي أنتجت في ميدان تعريب المعلوماتية، مع استعراض المشاريع المنجزة وكذا العراقيل التي تواجهها، ومن جانب مغاير بحث موقع اللغة العربية في الجزائر، واقتراح جملة من التوصيات في المجال.

1-اللغة مفتاح الهوية:

يضم العالم عديد الحضارات والثقافات التي تكوِّن في النهاية بنية متكاملة للمجتمع البشري أجمع، هذا الأخير الذي تتضح معالمه عبر النُظم الداخلة في تشكيل ما يعرف **بالهوية** والتي هي: "ذات الكائن من جهة ما هو هو، أو من جهة ما هو ذاته رغم التغير."

ومن هذا المنطلق (التمايز) فإن هوية كل مجتمع تتحدد وفقا لجملة من المعايير النفسية، والاجتماعية والعقائدية، والمعيشية، والتاريخية، والتراثية، وحتى السياسية والاقتصادية، لجماعة ارتبطت بالتاريخ، فكوَّنت أصولا إنسانية وبنى عقلية، أدت بدورها إلى إفراز سلوك فكري وقيمي، يسهم في صوغ حقيقة الإنسان الممكنة، والتي تعبر عن كيان ينصهر فيه قوم منسجمون ومتشابهون، بتأثير هذه الخصائص التي تجمعهم لتتشكل في النهاية **"الهوية القومية"** والتي يُعنى بها أيضا: الاشتراك في المجال الجغرافي والوطن الواحد- الذاكرة التاريخية والمصير المشترك-منظومة الحقوق والواجبات- القيم والاعتقادات-العادات والتقاليد-الفنون الشعبية.

وهي في مجملها تشكل العنصر الثقافي أي: "طريقة كل شعب في حياته الخاصة، وموقفه منها، وآرائه فيها، وفلسفته تجاه مشاكلها، ثم تصوره لوضعه في الحياة، ولا شك أن طريقة كل شعب في الحياة، إنما هي نتيجة تراثه المتوارث من اللغة، والعادات والتقاليد ونظام الحياة."

ولعل العنصر الجوهري المكون لثقافة كل مجتمع هو "اللغة" أو ذاك النسق البنيوي من الإشارات والرموز اللفظية، التي تمثل وسيلة الإنسان الأولى في التواصل: "تعد اللغة من أعظم الاكتشافات الإنسانية وأهم وسيلة اتصال تعبر عن النشاط الإنساني، الفكري، العلمي والاجتماعي، وهذا الارتباط التام بين اللغة والإنسان، يؤكد أن الإنسان لغة، وأن اللغة من كيان الإنسان."

فاللغة إذن هي العرق النابض للثقافة، والروح التي لا ينبغي لها أن تفتر: "ثقافة كل أمة كامنة في لغتها، كامنة في معجمها ونحوها ونصوصها، واللغة بلا منازع أبرز السمات الثقافية، وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبتها نهضة لغوية، وما من صراع بشري إلا ويُبطن في جوف صراع لغوي، حتى قيل أنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللغوية."

لذا فإننا بأمس الحاجة إلى أن نقرأ واقع لغتنا (العربية) قراءة متوازنة تدرك قوانين التطور والتغير، وتحلل الظواهر المعاصرة، في تفاعل بين تراث الماضي، وتحديات الحاضر.

2-اللغة العربية لغة الحضارة الإنسانية:

إن اللغة العربية كأقدم وأغنى لغة عرفها الإنسان، هي أولا وقبل كل شيء لغة الحضارة الإنسانية: "إن صفة الجمال قد أصبحت مقترنة بلغتنا العربية، فلا تكاد تُذكر الآن حتى يقال: لغتنا الجميلة، بدلا من لغتنا العربية، وهو ما يعد نجاحا في إثارة الاهتمام –على نطاق واسع- بما تمثله

هذه اللغة في جوانب إبداعها الثري من قيم رفيعة للجمال، ومن مضامين حضارية وإنسانية" واللغة العربية هي اللغة المشتركة في الرقعة العربية، ذلك أنها لغة القرآن والإسلام، فالترابط المتين ما بين اللغة والعقيدة هو ما يشكل: الهوية العربية الإسلامية، ومن المؤكد أن تضييع اللغة هو ضياع للهوية.

وبالرجوع إلى مسيرة الأمة العربية، نجد أن الذاكرة التاريخية تشهد لها بعديد الانتصارات والنجاحات التي حققتها طيلة عقود من الزمن، وخاصة مع الرسالة السامية التي جاء بها رسول البشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ما جعل اللغة العربية لغة عالمية، لأنها لغة خاطبت العالم بأسره، لتكون فيما بعد مجال دراسة حيوية للمستشرقين الذين انبهروا بها، ومن ذلك ما قاله المستشرق الفرنسي رينان: "من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال عند أُمَّة من الرُحَل، تلك اللغة التي فاقت أخواتِها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، ولم يُعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها، وانتصاراتها التي لا تبارَى، ولا نعرف شبيها بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة."

فلطالما كانت الثقافة العربية هي الأخرى محل اعتزاز وافتخار، ومواطن البطولات والأمجاد، التي سجلها التاريخ على مر العصور، فهي ثقافة زاخرة بقيمها ومعاييرها النبيلة، وبعلمائها الذين وصل فكرهم العالم الغربي، في زمن كان لا يزال هذا الأخير يعيش حالة فساد وانحطاط رهيبين: "الثقافات الثلاث هي: العربية واليونانية، والعبرانية، أقدمها في التاريخ: الثقافة العربية، قبل أن تعرف أمة من هذه الأمم باسمها المشهور في العصور الحديثة، وهذه حقيقة من حقائق التاريخ الثابت، الذي لا يحتاج إلى عناء طويل في إثباته، ولكنها على ذلك حقيقة غريبة تقع عند الكثيرين: من الأوروبيين والشرقيين، بل عند بعض العرب المحدثين، موقع المفاجأة التي لا تزول بغير المراجعة والبحث المستفيض."

كما لا يغفل علينا أن القواعد الأولى التي أسست للفكر الإنساني بجميع مراحل تطوره ورقيه، كانت نتيجة لتضافر جهود عديد العلماء والفلاسفة المفكرين العرب: ابن سينا، ابن خلدون، الحسن بن الهيثم، عمر الخيام، وغيرهم ممن نظَّروا في مخطوطاتهم للعلوم التي أصبح العالم يعمل بها الآن: "وفي هذا كان عظيم الأثر لما خلفه علماؤنا مثل الخوارزمي في العمليات الرياضية المتقدمة على عصره، خصوصا ما سمي بالخوارزمية: Algorithme ونحن نراه (الخوارزمي) أمامنا على شاشة الحاسوب اليوم، يظهر بخدماته الجلية التي أكدت فاعليته في العمليات الرياضية، فهو واحد من العلماء العرب الذين كانت لهم باع طويل في تقدم البشرية وتطورها تقنيا."

3-أسباب تراجع اللغة العربية في عصر النهضة:

إن استقصاء الحقيقة يأتي بالعودة إلى تلك الفترة التي كان فيها الغرب يعاني ركودا في جميع الميادين، إلا أن الحروب الصليبية والمخططات الاستعمارية مكنته من السرقة والاستحواذ

على المعارف العربية وتطويرها، وخاصة في ظل تحول الشرق إلى مجال خصب للدراسات والتي عرفت بالدراسات الإستشراقية: "تأكد الشرقي بعد تجاربه المرة مع المستشرقين أن دراساتهم بمختلف أنواعها كانت موجهة ضده، وكانت موظفة لخدمة أعدائه، وإن غلفت بأغطية الأمانة الجامعية أو الأكاديمية، فهم يخدعون أنفسهم بأنها تظهر للرائي بريئة (...) إنها جانب من الصراع بين الغرب والشرق، ولو حاول الغربيون إظهارها بمظهر الدراسات اللغوية أو التاريخية أو الإنسانية أو الفلسفية، فالمستشرقون بشكل أو بآخر خبراء ومستشارون في دوائر رسم السياسات الاستعمارية، همّهم المعرفة لتمنحهم القوة، ولتمكنهم من السيطرة على الشرق وأهله وخيراته ومقدراته."

ومع إرهاصات النهضة الأوروبية، دخل الغرب إلى عصر الآلة وما ألحقته الثورة الصناعية، وفلسفة عهد التنوير، وكذا عصر التكنولوجيا ووسائل الاتصال الجماهيري، في حين بقي العالم العربي يعاني ويلات الاضطهاد والتعذيب، والتفرغ فقط لكيفية التخلص من العدو وتحرير البلد لتبرز معالم الصورة المتناقضة ما بين العرب والغرب:

العرب: الثورة ضد الإستعمار.

الغرب: الثورة الاتصالية الخامسة بعد وسائل الإعلام: الكمبيوتر.

ولهذا تراجعت اللغة العربية وتم تقويضها، وفرضت اللغة الأجنبية أو لغة المستعمر، وكلما زادت القوة الكفاحية للعرب، تضاعفت التجارب العلمية لدى الغرب.

وبإمعان النظر في وضعية المنطقة العربية، نجدها لا تتفوق كثيرا عن غيرها من المناطق المنتمية تحت لواء العالم الثالث، كيف لا تكون كذلك في ظل: التبعية السياسية الشاملة للغرب، التبعية التجارية وضعف الاقتصادات، هشاشة البنى التحتية للموروث الثقافي واللغوي خاصة، وغيرها من مظاهر الاستكانة والتبعية، التي لا تتيح للمواطن العربي-على وجه الأخص- فرصة لتشكيل نوع من الاستقلالية والحرية، فاسحة بذلك المجال أمام حماية وتحصين الهوية الثقافية اللغوية في شتى تمظهراتها، فما كان عليه سوى الرضوخ لمبدأ الاختيار: بين التقليدي الوراثي، المرتبط بذاكرة مجتمعه، والحديث المكتسب، والمرتبط بقوى العولمة أو إمبراطورية عصر المعلومات: "فيما يبحث الغرب عن قيم جديدة يواجه بها عصر المعلومات، نجد أن شاغلنا الأساسي هو كيفية الدفاع عن قيمنا ضد الخطر الوافد عليها من الغرب، وبغض النظر عما ذكر من أسباب، فستكون لأزمة القيم الراهنة في الغرب، وليدة التغيير المعلوماتي، انعكاساتها على المجتمعات العربية."

وكل هذا أثر سلبا على اللغة العربية وعلى كينونتها، التي كانت هدفا حيويا من الغرب، ذلك أن القضاء عليها هو قضاء على الأمة العربية، وقضاء على الإسلام أيضا: "إن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل وتسد أفواهها، وتشرد من بيوتها، ويظلون مع ذلك أغنياء، فالشعب يفتقر ويُستعْبد ما إن يسلب اللسان الذي تركه له الأجداد، عندئذ يضيع إلى الأبد."

4-تحليل موقع اللغة العربية في عصر المعلوماتية:

بفضل الثورة الاتصالية الضخمة والتكنولوجيات الحديثة، تم تحويل العالم إلى آلة صناعية ضخمة، ومن هنا خلق ما يعرف بالتخاطب القوي الفعال ما بين الإنسان ككائن استهلاكي والآلة: "إن التخاطب بين الإنسان والآلة أصبح من سمات هذا العصر، وتبقى اللغة الطبيعية أسهل ترميزا لتبادل المعلومات بينهما، وهذا التخاطب يكون بالكتابة أو بالكلام المنطوق أو بالحركات الميكانيكية، وأكثر النظم تقدما في هذا المجال هو ما يسمى اليوم بالحقيقة الظاهرية."

فالآلة أصبحت وسيلة الإنسان في الاتصال، وأصبحت المعلومة هي الأخرى ضرورة حياتية إن لم نقل أنها عصب الحياة، تفوق أهميتها أهمية الضرورات الأخرى، فامتلاك المنتوج الفكري هو حاجة بالنسبة للجماهير، وصناعةٌ بالنسبة للمُرسلين، ولكنها صناعة خبرية تتحول بفعل التأثير إلى صناعة ثقافية، ومع سلطة وسائل الإعلام وكذا الوسائط الإلكترونية لم يعد بوسع أي إنسان مهما كانت جنسيته وهويته ومستواه الفكري، إلا الانخراط في هذه المجرة أو القرية الكونية الصغيرة- على حد تعبير مارشال ماكلوهان- والتماس معرفة الاستعمالات التكنولوجية والرقمية بلغتها الأصلية.

ولمواكبة تطورات العولمة الإعلامية التي أصبحت تنقل نموذجا واحدا للجماهير العالمية، صار لابد على الفرد العربي –كعينة مستهدفة من هذه الجماهير- أن يتعولم عولمة غربية فارضة لغتها الغربية أيضا: "وإذا لم نطوع لغتنا لمثل هذه الاستعمالات فإننا سنستعمل للضرورة لغة غيرنا، مِمَّن مكَّن الآلة من فهم لغته واستعمالها، فنكون قد أضفنا إلى التبعية الاقتصادية والعملية خطرا آخر هو تهميش لغتنا وهويتنا الثقافية."

ولقد أصبحت اللغات الأجنبية -وفي مقدمتها اللغة الإنجليزية تليها اللغة الفرنسية- هي اللغة التكنولوجية الأكثر استخداما، وتراجعت العربية إلى مراتب أدنى على مستوى الممارسة الفعلية، سواء في ميدان الاتصال بين الأفراد، أو في ميدان التعليم والتربية، والإعلام والرقمنة: "ومن الطبيعي أن يؤدي هجر اللغة إلى هجر الثقافة والقيم المرتبطة بها، وبذلك يتأسس فراغ لغوي وثقافي تتدفق اللغات والثقافات الأجنبية إلى ملئه."

هنا وجد الفرد العربي نفسه في مفترق طرق، وتَحتَّم عليه تعلم اللغات الأجنبية للحاق بالركب التكنولوجي، فأهمل لغته العربية واعتبرها لغة لا ترقى إلى العلمية، ولغةً مقيدة، بالإضافة إلى وجود عوامل أخرى ساعدت على تراجعها.

مظاهر التراجع اللغوي العربي:

يعود ازدياد حدة التراجع اللغوي العربي، إلى ما عبر عنه أحد المفكرين العرب:

* سياسات لغوية حبيسة الأدراج لا ترى النور (...) ناهيك عن تكرار المحاولات –من دون جدوى- للالتزام بتوحيد المصطلحات، ولنقارن ذلك بما تقوم به إسرائيل في هذا الشأن: حيث تحرك استخدام المصطلح الأجنبي ما إن يتم إقرار مقابله العبري.

* مجامع لغوية ضامرة السلطات، محدودة الموارد، تنتقي من إشكالية اللغة العربية ما تقدر على تناوله، لا ما تحتاج إليه اللغة بالفعل.

* تعليم غير متجاوب لا تعكس استراتيجياته ومناهجه وسلوك مُدرسِيه وأداء طلبته، ما للغة الأم من أهمية في أمور التعليم والتربية، وينحصر جهد الإصلاح التربوي عادة على مناهج تدريس اللغة العربية دون مراعاة لعلاقتها بتدريس المواد الأخرى.

* تعريب متعثر يواجه معارضة شديدة من قبل كثير من الأكاديمين بل من بعض الرواد الثقافيين أيضا، وهناك بلا ريب صلة وثيقة بين هذا التخاذل الأكاديمي في شأن اللغة العربية، وآفة التلقي السلبي التي تسود طرق تعليمنا.

* ثقافة لغوية غائبة، وذلك من تزايد أهميتها كأحد الروافد الأساسية للثقافة العلمية.

* وعي غير كاف على مستوى القيادات السياسية بخطورة المسألة اللغوية.

الإعلام العربي (السمعي البصري) والقنوات العربية: تستخدم القنوات العربية لغة الضاد في أغلب برامجها (المستوحاة في مضمونها من البرامج العالمية الشهيرة) كما وتوجِّه قنوات ناطقة باللغة الأجنبية للثقافات الأخرى، وتستقطب ضمن برامجها حصص وأفلام ورسوم متحركة أجنبية وتترجمها (رغم عدم توافقها أحيانا والثقافة المحلية) وهي إن جاءت بمجهود ما في محاولة تعريب الإعلام ومعايشة الوقائع العربية إلا أنها تظل محاولات ظرفية لا تكلل بالنجاح والاستمرارية: "ويجدر بنا في هذا المقام، الإشارة بمرارة إلى دور الكثير من الفضائيات المحسوبة على العربية، التي لا زالت تحاول جاهدة أن تكتم ما تبقى من أنفاس اللغة العربية لترديِها ذبيحة على سطورها المشبوهة، والتي باتت لا تمت إليها بصلة، وحينما تموت لغتنا لن يصلي أحد عليها الجنازة (...) إذ الصلاة لا تجوز إلا باللغة العربية!! فرغم الوعي بالحاجة إلى أهمية تجديد الصيغ الإعلامية وجعلها متناسبة مع التطور التقني المهول لوسائل الاتصال وتنوعها، فإن الوعي باللغة لا يختلف عن الوعي بالحرية، أو الوعي بالآخر."

المواقع الإلكترونية العربية: تحاول محاكاة التكنولوجيا، لكنها مقتصرة على نسخ التكنولوجيا الغربية إليها لا غير، دون المشاركة الفعالة في صناعتها: "وعلى الرغم من غنى اللغة العربية وقدرتها الدائمة على استيعاب مختلف التطورات، وقابليتها المستمرة للتجديد والتكيف مع التطورات، فإن دعاة وأحبار العولمة ما فتئوا يروِّجون لاغتيال اللغات القومية، مشككين في جدوى قدرتها على الحيلة في عصر الكوكبة (...) وترتكز هذه النظرة الدونية للغات الأخرى على وهن طبيعة اللغة العربية مثالا، وضعف قابليتها للتكنجة اللغوية والأدبية والثقافية، وعندما ننظر في بعض المسائل الدالة ندرك تهَم هذه الفرضية مثل علاقة اللغة بالفكر، فاللغة

العربية لغة الوحي والتقليد الثقافي العربي برمته، على أن عناصر الثبات فيها ليست عقبة أمام عناصر التغير الطارئة أو الوافدة، وبالقدر الذي نخدم فيه لغتنا، فإنها قابلة لخدمة تطور المعرفة."

ومن هذا المنطلق تفطن المختصون العرب إلى خطورة الوضعية المعاشة في عصر المعلومات، وبالتالي حَملُ الجميع على استئصال هوياتهم والتفتح على الثقافة الغربية نحو تحقيق المواطنة العالمية، وهذا ما حتَّم ضرورة التعجيل بحماية اللغة العربية، ومخَّض جملة من المشاريع.

5- تجارب استحداث الشفرة العربية في المعلوماتية:

إن الهدف المرسوم من وراء هذه التجارب هو تعريب الكمبيوتر، حتى يتكلم باللغة العربية فيصبح قادرا على التعامل مع الحرف العربي، بالإضافة إلى تطوير الجهود في مجال تعريب البرمجيات في القرن الواحد والعشرين ليتضمن المجالات التالية:

- إدخال وإخراج الحرف العربي.

- تعريب التطبيقات الحاسوبية والبرمجيات.

- تعريب نظم تشغيل الكمبيوتر.

حيث برزت بدء من عشرينات القرن العشرين، عدة دراسات (قرابة ثلاث مائة مشروع) تبناها مجمع اللغة العربية بالقاهرة من سنة 1933 إلى 1968م فيما يخص تحديث كتابة وطباعة الخط العربي وخلق الشفرة العربية: "منذ ما يزيد عن نصف قرن، وقعت عدة محاولات لتحديث كتابة وطباعة الخط العربي، ومما لاشك فيه أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قام بنصيب الأسد، ففي الفترة الفاصلة بين 1933 و 1968م، تقدم أعضاؤه بمناظرات متتالية لمراجعة الكتابة العربية وتحديثها، وكنتيجة لذلك أحصوا 266 مشروع إصلاح جاءت أغلبها من العالم العربي (...) من هذه الدراسات دراسة: يحي بوتمان-الجزائر 1955م، هذا المشروع يقدم بعض التشابه الظاهري مع مشروع نصري قطار من لبنان سنة 1947م من ناحية الاهتمام بجانب الطباعة (...) وسنة 1976م أخذت المبادرة رابطة الحكومات الإعلامية، وهي مؤسسة غير حكومية مقرها روما، ودعت إلى اجتماع في مدينة بنزرت بالجمهورية التونسية، وتركز العمل على المقارنة والتقريب لإيجاد شفرة عربية فتكونت لجنة لدراسة اللغة العربية، كما عقد اجتماع آخر بروما في جوان 1977م (لجنة اللغة العربية التابعة لرابطة الحكومات الإعلامية) والتي قررت:

إحداث لجنة وطنية للكمبيوتر لتطوير المعلوماتيات في كل قطر عربي، وإقرار شفرة عربية موحدة (Codaru) والمتكونة من 31 حرف أساسي/4 حركات شكل/9 حركات اختيارية."

هذه الشفرة التي قدمت في صورتها النهائية: Codaru/F عرفت فيما بعد ب: آسمو 449 عام 1985م: "المواصفتان آسمو 449 و708 أصبحتا مواصفتين دوليتين باعتمادهما من طرف المنظمة العالمية للمواصفات."

أما في مجال صناعة البرمجيات العربية، فقد كانت هنالك أيضا بعض الجهود كتلك التي قامت بها الشركة العالمية بالكويت والسعودية لتطوير كمبيوتر شخصي عربي وتوحيد البرمجيات العربية: "وصل حجم عمالتها في النصف الثاني من الثمانينات إلى ما يزيد على 300 من الأخصائيين، وقد قامت هذه الشركات بتعريب عدة نظم تشغيل وتطوير لغات برمجية عربية، والعديد من البرامج التعليمية، وقد توجت جهودها بإنشاء وحدة متخصصة في بحوث اللسانيات الحاسوبية في مجال معالجة اللغة العربية آليا."

تعاقبت البحوث والدراسات في مجال تطويع الكمبيوتر وجعله عربيا، كما أقيمت عديد المؤتمرات الدولية، وقامت الدول العربية بإنشاء مراكز بحث ومجمعات لبحوث اللغة العربية، ولا تزال هذه النهضة متواصلة ليومنا هذا.

6-أوجه قصور الصناعة البرمجية والقاموس العربي التكنولوجي:

رغم المحاولات المتعاقبة والمتلاحقة على مر الزمن، ومن طرف عديد البلدان العربية في المشرق والمغرب العربي، إلا أن اللغة العربية لم تستطع الولوج إلى عالم التقنية وعالم المعلومة من بابه الواسع، وهذا ليس لأنها لغة قاصرة وعقيمة، وإنما السبب في ذلك هو التقاعص في تطوير المجهودات ونقل البحوث التنظيرية إلى الجانب التطبيقي العملي، وكذا عدم الاتفاق على توحيد القاموس العربي التكنولوجي، بالإضافة إلى وجود معوقات أخرى ومن أهمها:

الحجم المحدود لسوق البرمجيات العربي الذي لا يشجع على الاستثمار في هذا المجال، خاصة في غياب التشريعات التي تحمي هذه الاستثمارات ضد ظاهرة سرقة البرامج المتفشية في بعض البلدان العربية.

من ضمن المشاكل التي عوقت ظهور صناعة عربية للبرمجيات، هي تلك المتعلقة بالحاجز اللغوي نظرا لسيادة اللغة الانجليزية على جميع جوانب تكنولوجيا المعلومات.

حقيقة الأمر أن كثيرا من هذه البرامج (الغربية) لا تلبي مطالبنا، ولم توجه أصلا لحل مشاكل التنمية في دول نامية مثل دولنا العربية.

وعن السعي نحو تطوير القاموس العلمي التكنولوجي العربي، فقد طرحت هنا عدة إشكالات، أهمها التأخر الزمني في وضع المصطلحات، وحين يحدث ذلك ينجم عنه عدم الاتفاق على توحيدها، وبالتالي تبقى حبيسة المعاجم ولا يتم تدوالها في الحياة المعلوماتية أو الإلكترونية.

وما يحسب للغة العربية هو أنها لغة تمتلك –على غرار ما ينسب إليها كلغة الأدب والشعر فقط- قدرة على تنسيق مفرداتها لتتلاءم والمفرد الغربي إما عبر الترجمة الحرفية: مثل كلمة **الإيديولوجيا** التي تم خلق مصطلحها العربي: **الأدلوجة**، أو عبر المقاربة اللغوية: مثل كلمة **القرص المرن**، فاللغة العربية ليِّنٌ ومرونة يمكِّنانها من التكيف وخصائص العصر: "المشكلة الحقيقية في موضوع المصطلح ليس هو العجز عن صياغته ففي اللغة العربية إمكانات واسعة، ولكن المشكلة الحقيقية هي الاعتراف العلمي العربي بالمصطلح، لأن شرط المصطلح أن يكون واحدا، ويكون مجمعا عليه فهو كالاسم العلم، فلا يحمل إنسان أكثر من اسم رسمي."

إذ يمكن للعربية أن تصبح لغة المعلوماتية التي تنافس اللغات الأخرى: الانجليزية والفرنسية خاصة، إذا ما تم اللجوء إلى تعميق الدراسات حول المقاربات اللسانية العلمية، وكذا تكاثف جهود الدول العربية والعمل يدا بيد من أجل إعلاء الصوت العربي للغة الأكثر بلاغة وكمالا.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط، حيث يتوجب أيضا المشاركة على الأقل في توفير الوسائل التكنولوجية للتمكن من استخدام اللغة، لأن العمل الجاد على إخراج اللغة العربية من القوقعة الضيقة التي وُضعت فيها، والنهوض بها من خلال ما تمتلكه كثروة لغوية حقة، لا يعلو على أن يكون ثورة إلكترونية جديدة في سبيل المحافظة على الهوية والثقافة العربية، وحمايتها من حالة الانقراض التي هي مهددة بها على الدوام، من قِبل زعماء العالم في مجال الاتصال والإلكترونيات.

7-تحليل الوضعية اللغوية الإعلامية في الجزائر:

دخل الإسلام إلى الجزائر نتيجة للفتوحات التي قطعت علاقة البرابرة بالعالم الغربي، فامتزجت كل من الثقافة البربرية والعربية ليشكلا معالم دولة إسلامية، لغتها الأولى هي اللغة العربية: "في القرن السابع قطعت بلاد البربر صلاتها بالغرب وارتبطت بالمشرق ارتباطا وثيقا لا محيد عنه (...) بحيث أمسى المغرب اليوم في جله مقاطعة نائية تابعة للعروبة."

لكن الاستعمار الفرنسي فيما بعد حرص حرصا شديدا على طمس الهوية العربية الإسلامية للمواطن الجزائري شرق البلاد وغربه، من خلال سياسة فرنسة الأراضي الجزائرية وفرنسة اللسان الجزائري أيضا، ومع تدهور الأوضاع العامة في الجزائر تراجع قطاع التعليم لتتراجع معه اللغة العربية أيضا: "إن أحد مقومات قوة السياسة الفرنسية الاستعمارية القائمة على هدم العالم الاجتماعي واللغوي، تمثل في القضاء على وسائل نشر اللغة المكتوبة وأوعيتها الاجتماعية (المؤسسات الاجتماعية قبل الاستعمار) وهكذا أمست العربية المكتوبة في الجزائر غير إجرائية في عالمها الخاص، وفي هذا المضمار أقدم الحكم الاستعماري على هذه الحملة التجهيلية."

وشيئا فشيئا ومع غلق مدارس تعليم اللغة العربية المكتوبة، والإجبار على تعلم اللغة الفرنسية، أصبح المجتمع الجزائري مجتمع شفويا (الشفوية كوسيلة اتصالية غالبة) وهو ما رفع من نسبة الأمية وقيَّد الفكر الجزائري إلى حد ما، ورغم انتشار الحركات الإصلاحية على يد قائدي الثورات الشعبية أمثال الإمام عبد الحميد بن باديس والمصلح الشيخ الإبراهيمي وغيرهم، وانتشار الزوايا والمساجد التي حاولت تعليم الجزائريين لغتهم حتى في أوج الحرب التحريرية، إلا أن المستعمر كان يدمر كل ما هو عربي.

واستمرت الحالة هذه إلى غاية فترة الاستقلال، فحتى القطاعات الأخرى وعلى رأسها الصحافة المكتوبة قد تأثرت بهذه الوضعية: "نتيجة الفترة الطويلة التي خضعت فيها الجزائر للاستيطان الفرنسي تراجعت اللغة العربية ومست الأمية 80% من الشعب، وكان انتشار اللغة الفرنسية عبر سياسة استعمارية محكمة تتقدم وتتغلغل باعتبارها لغة الإدارة والصحافة، فكانت النتيجة في 1962 أي مع الاستقلال أن سحبت جريدة الشعب باللغة العربية بين 10 و 15 ألف نسخة، وبعد 1965م ظهرت أول لائحة خاصة بالإعلام أوكلت للصحافة دور الخدمة العمومية وقننت تبعيتها للحكومة، ودعمت جريدة المجاهد باللغة الفرنسية حيث بلغ سحبها 203 آلاف نسخة لوحدها."

وبدء من الاستقلال شرعت الحكومة الجزائرية في العمل على إعادة الاعتبار للشخصية الجزائرية المسلمة، إسلام لا يقوم دون لغته الحقة وهي اللغة العربية، فكانت أولى المجالات التي أعيرت الاهتمام الكبير: مجال التعليم لما له من دور في إعادة أمجاد اللغة العربية، وتعريب الاتصال بين الأفراد ونقلهم من الشفوية إلى الكتابة العربية، ونعود مجددا للتأكيد على قوة تعليم اللغة منذ السنوات الأولى لحياة الإنسان حتى تترسخ تراكيبها في الأذهان وتصير لغة اعتيادية في التواصل الشفوي والكتابي: "يأتي التعليم في الدرجة الأولى وفي ذلك جاء في توصيات مؤتمر التعريب الرابع الذي عقد في طنجة بالمغرب سنة 1981م أن التعليم باللغة العربية ليس استجابة لمشاعر القومية، ولكنه استجابة للحقائق التربوية التي أثبتت أن تعليم الإنسان بلغته أقوى مردودا وأبعد أثرا."

ولعل السنة الانتقالية بالنسبة للجزائر هي سنة 1971م والتي تعرف بسنة التعريب، حيث أكد الرئيس الراحل: **هواري بومدين** أن اللغة العربية هي لغة لا تختلف عن اللغات الأخرى فهي ليست أقل شأنا منها، بل على العكس تماما: "لا مجال للمقارنة أو المفاضلة بين اللغة العربية وبين لغة أجنبية أخرى فرنسية أو انجليزية، لأن الفرنسية كانت وستبقى مثلما بقيت في ظل الاستعمار لغة أجنبية لا لغة الجماهير الشعبية."

كما وأدلى السيد **سعيد شيبان** أستاذ الطب المعروف، بكلمته إثر انعقاد ملتقى الفكر الإسلامي في وهران شهر جوان من 1971م مؤيدا تعريب التعليم: "فالذين ينتقدون التعريب في العلوم والفنون يقولون مخلصين أو مخادعين أن مستوانا العلمي والتقني سينحط إن عربنا التعليم

العالي بعدما عربنا جزء من التعليم الثانوي في العلوم والتكنولوجيا، ولكن في الحقيقة إن أردنا أن تكون اللغة العربية لغة يتكلم بها الشعب العربي، واللغة رمز للسيادة القومية، فيجب أن يكون التعريب تابعا لمستوى عال، مستوى التعريب في أسمى معانيه وفي أعلى مقاصده."

عودة مرة أخرى لوسائل الإعلام في الجزائر، ففي البداية بدأ التعريب مع الإذاعة على اعتبار أنها تحتاج لغة بسيطة لتعاملها مع الأمي والمتعلم، أما الصحف فتتطلب قراءة، لكنها انتعشت كثيرا فيما بعد إثر جهود التعريب التي مست الإعلام الجزائري، وشهد قطاع الصحافة تطورا كبيرا من حيث عدد الجرائد الناطقة باللغة العربية مقارنة باللغة الفرنسية، وذات الأمر بالنسبة للإذاعة والتلفزيون، وفي ظل التعددية السياسية 1989 وحرية الصحافة، قطع الإعلام الجزائري وخاصة الصحافة المكتوبة شوطا كبيرا جدا، ثم عادت للفتور مرة أخرى إثر الأزمة السياسية، وعلى العموم فبالرغم من جميع المراحل التي واجهتها الجزائر بدء من الاستقلال وصولا إلى العشرية السوداء، وفترة إعادة البناء إلا أنها ظلت قوية لأن إرادة التعريب كانت أقوى من كل ظرف: "التعريب نابع من إرادة الجماهير وفي استطاعته القضاء على التبعية الثقافية المجحفة على الأقل، لكونها شكلا أو مضمونا في اعتقاد الطبقات الفوقية المرتبطة بمصالح خارجة عن البعد الثقافي الوطني، وهي مصالح ذات ارتباطات اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية."

وعموما تمكنت الصحافة المكتوبة من تعليم المواطن اللغة العربية عبر أسلوبها السهل وتراكيبها السلسة وجملها القصيرة والمفهومة، والإذاعة أيضا نجحت في هذه المهمة وحتى التلفزيون ورغم لجوءه –نظرا لقلة الإنتاج الوطني- إلى إستيراد البرامج وحتى الدراما، إلا أنه فرض اللغة العربية، ومع إيجابيات الهوائي المقعر من خلال فتح المجال للمشاهد الجزائري لمتابعة القنوات العربية، كانت هنالك سهولة كبيرة في انتشار اللغة العربية.

هذا لا يعني أن الوضعية اللغوية في الجزائر وضعية كاملة، لكنها إلى حد ما وضعية مرموقة، فالجزائر عبر مؤسساتها المختلفة كمجمع اللغة العربية، والمجلس الإسلامي وغيرها من الهيئات الحكومية التي تحمل على عاتقها مهمة الحفاظ على اللغة العربية وجعلها في مصاف نظيراتها الأخرى، قد تمكنت من تعريب المجتمع الجزائري وإخراجه تدريجيا من رقعة الشفوية التي عاشها طويلا، ووسائل الإعلام في الجزائر ورغم معوقاتها إلا أنها تظل تحمل الرسالة السامية وهي: إعلاء شأن اللغة العربية بما فيه إعلاء لشأن المواطن الجزائري وهويته الإسلامية بغض النظر عن اللهجات المتداولة.

8-ميكانيزمات تطوير القاموس العربي في الجزائر:

إن علاقة الجمهور الجزائري بوسائل الإعلام الوطنية هي علاقة إلى حد ما متذبذبة خاصة المتعلقة منها بالمجال السمعي البصري، ولعل الأمر عائد إلى تراجع وقلة الإنتاجات الجزائرية في مجال الدراما والأفلام السينمائية، ما يجعله باحثا عن مبتغاه في إلتقاط الخبر والبحث عن الصورة الفاتنة في قنوات أخرى سواء العربية منها أو الغربية.

ودراسة الواقع وتحليله يكشف عن الهوة التي تفصل المواطن عن الإعلام الجزائري رغم أن هذا الأخير موجه إليه بالدرجة الأولى، وأمر آخر وهو مستوى الثقافة والفنون بصفة عامة الذي لا يتم إعطائه القدر المستحق على غرار ما تفعله البلدان الأخرى، ولعل هذا سبب من أسباب الأزمة الثقافية في الجزائر.

أما بالنسبة لعلاقة المواطن الجزائري بالكمبيوتر أولا وبالعالم الافتراضي ثانيا، فنسبة كبيرة من المجتمع الجزائري تحسن استخدام الكمبيوتر على اختلاف العمر والجنس والمستوى التعليمي، وبالنسبة لولوج عالم الانترنت، فإنه لا يزال –حاله حال المجتمعات العربية- كمستخدم أو كمتلقي فقط، عدا بعض المجهودات المبذولة، ولكنها لم تحقق تطورا رائجا في ميدان التصنيع التكنولوجي.

نحن بهذا لا ننفي وجود النخبة المثقفة والمتعلمة واليد العاملة المؤهلة والتي تعمل بكد من أجل النهوض بالبلد، لكن المسؤولية الأولى تقع على عاتق السلطات العليا، إذ لابد من:

دعم قطاعات التربية والتعليم والثقافة والإعلام إلى أقصى الحدود، وجعلها قطاعات ناطقة باللغة العربية الفصحى، حتى تخلق جيلا عربيا حقًّا، إلى جانب تعليم اللغات الأجنبية الأخرى فتصنع على مستوى ثان الشخصية الجزائرية القوية، المسموعة الصوت في العالم العربي والغربي.

وقبل ذلك لابد من إعادة صياغة بعض المفاهيم في الذهنية الجزائرية مثل مفهوم المقروئية التي بدأت تتراجع، خاصة مع المتعة البصرية التي تقدمها الملتميديا.

مواكبة آخر تطورات الفكر البشري وترجمتها إلى اللغة العربية، وكذا تشجيع الكفاءات الجزائرية خاصة في مجال التكنولوجيا والمعلوماتية، وإعطائهم الفرصة للتعبير عن أفكارهم، بدلا من هجرة الأدمغة وترحال زبدة الفكر الجزائري إلى عوالم أجنبية أخرى.

تأطير الكوادر وتوجيهها إلى العمل –في الساحة العربية- على تعريب البرمجيات، ولما لا المشاركة في صناعة التكنولوجيا الرقمية.

وختاما لي أن أقول:

ولعل الوسيلة المثلى لبلوغ اللغة العربية مصاف اللغات الأخرى في الجزائر، هو نشر الوعي بالخطر المهدد للهوية الوطنية في حال تم التخلي عن التعريب في أي ميدان، وكذا إعادة الثقة التي بدأ يفقدها المواطن في قدرة البلد على مسايرة التكنولوجيا، وهذه حقيقة لا مفر من نكرانها، والأعمال الميدانية وتطبيق العهود والأماني على أرض الواقع هو السبيل نحو الأمام.

الهوامش:

1-عبدو الحلو، **معجم المصطلحات الفلسفية**، المركز التربوي للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1994، ص80.

2-يعقوب المليجي، **المدخل للثقافة الإسلامية**، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر، د ط، 1985، ص34.

3-عز الدين صحراوي، **اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة: الجزائر، العدد الخامس، فيفري 2004، ص146.

4-نبيل علي، **الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي**، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 2001، ص232.

5-فاروق شوشة، **لغتنا الجميلة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثانية، 1999، ص8.

6-أنور الجندي، **اللغة العربية بين حماتها وخصومها**، مطبعة الرسالة، بيروت، د ط، 2004، ص25.

7-عباس محمود العقاد، **الثقافة العربية: أسبق من ثقافة اليونان والعبريين**،دار القلم، مصر، د ط، د ت، ص5.

8-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **استخدام اللغة العربية في المعلوماتية**، إدارة الثقافة، تونس، د ط، 1996، ص238.

9-علي توفيق الحمد، **نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمة العربية**، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، الأردن، العدد 15، 2001، ص3.

10-نبيل علي، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، مرجع سبق ذكره، ص410.

11-عصفور جابر، **التنوع البشري الخلاق**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د ط، 1997، ص 200.

12-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع سبق ذكره، ص76.

13-نفس المرجع، ص64.

14-علي ليلة، **الثقافة العربية والشباب**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003، ص54.

15-نبيل علي، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، مرجع سبق ذكره، ص ص 240-242.

16-عز الدين ميهوبي، **القاموس الإعلامي: صحافتنا وتعويم اللغة**، يوم دراسي حول دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 15 جويلية 2002.

17-عبد الله أبو هيف، **اللغة العربية وتحديات العولمة**، المجلة العربية للثقافة، تونس، العدد 43، ديسمبر 2002، ص 418.

18-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع سبق ذكره، ص ص8-10.

19-نفس المرجع، ص11.

20-نبيل علي، **العرب وعصر المعلومات**، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1994، ص206.

21-نفس المرجع، ص ص208-209.

22-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع سبق ذكره، ص14.

23-خولة طالب الإبراهيمي، **الجزائريون والمسألة اللغوية: عناصر من أجل مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري**، دار الحكمة، الجزائر، د ط، 2007، ص14.

24-نفس المرجع، ص27.

25-فضيل دليو، **الصحافة المكتوبة في الجزائر بين الأصالة والاغتراب**، مجلة المستقبل العربي، العدد 255، ماي 2000، ص ص49-50.

26-محمد المنجي الصيادي، **التعريب في الوطن العربي**، في كتاب جماعي: التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الثانية، 1986، ص42.

27-هواري بومدين، الخطاب الافتتاحي لندوة التعريب الأولى في الجزائر، تاريخ 1975/03/14م.

28-خولة طالب الإبراهيمي، مرجع سبق ذكره، ص196.

29-محمد المنجي الصيادي، مرجع سبق ذكره، ص35.